الوسائل المعينة على تجويد القرآن الكريم

د. بكري مُحَمَّد بخيت أحمد(*)

مُقَدِّمَة:

الحمد لله منزل الكتاب، ومجري السَّحاب، وهازم الأحزاب، والصَّلاة والسَّلام على النَّبيّ ﷺ الصادق الأوّاب، الذي كان خُلُقه القرآن، ووصيته القرآن، وميراثه القرآن صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومَنْ اهتدى بهديه، وسار بسُنَّته إلى يوم الدِّين، **وبعد،،،**

فإنَّ من أشرف ما اشتغل به النَّاس في التَّدوين والعلوم ما كان متعلّقاً بكتاب الله الكريم: قراءة، وبياناً، وتفسيراً.

وكلّ علم ارتبط بهذا الكتاب استمدّ منه العلو والشرف والرفعة، ومن هذه العلوم علم تجويد القرآن الكريم، وتحسين قراءته وترتيله، كما أمر بذلك ربّ العالمين بقوله تعالى ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾ [المزمل: ٤].

وإلى ذلك أرشد النَّبيّ ﷺ بقوله: (اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإيّاكم ولحون أهل الفسق والكبائر، فإنّه سيأتي من بعدي أقوام يرجِّعون القرآن ترجيع النّوح والغناء، مفتونة قلوبهم، وقلوب من يعجبهم شأنهم..)[1].

(*) أستاذ مساعد، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم (ولاية الجزيرة ـ مدني).

(١) أخرجه الهيثمي في الزوائد، دار الكتب العلميّة، بيروت، برقم ١١٦٩٣، ٢٥٢/٧. قال ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (١١٨/١): "لا يصح وفي سنده مجهول، وراويه يروي عن حديث الضعفاء ويدلسهم، وذكر عنه الحافظ في: "اللِّسان" (٣١٩/٢) أنَّه ليس بمعتمد، والخبر منكر". راجع: جمع الجوامع: للسيوطي، ٣٠٢/٥.

و"لحون العرب" المقصود بها: طريقة أداء الكلمات، ونطق الحروف، من تفخيم، وترقيق، ومد، وغيره. ولا يتأتى ذلك إلاَّ بتعلُّم التَّجويد؛ لأنَّ التَّجويد ـ كما وصفه العلماء ـ: "هو حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه، وتلطيف النطق به، على حال صيغته، وكمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسُّف، ولا إفراط ولا تكلُّف، وإلى ذلك أشار النَّبيّ ﷺ بقوله: (من أحبّ أنْ يقرأ القرآن غضاً كما أنزل؛ فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)[1]. يعني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وكان رضي الله عنه قد أُعطي حظاً عظيماً في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزله الله تعالى، وناهيك برجل أحبّ النَّبيّ ﷺ أنْ يسمع القرآن منه، ولما قرأ أبكى رسول ﷺ ـ كما ثبت في الصحيحين ـ[2].

وتجويد القرآن يسمو بصاحبه إلى مصاف الملائكة الأطهار، كما جاء ذلك في حديثه ﷺ: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاقّ؛ له أجران)[3].

(١) رواه أحمد في مسنده، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، ٥٨٧/٤، برقم ٤٣٣٩. وانظر أيضاً: النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، ٢٣٩/١.

(٢) كما في صحيح البخاري، باب البكاء عند قراءة القرآن، برقم ٤٦٦٧، وصحيح مسلم، باب فضل استماع القرآن، برقم ١٩٠٣. وانظر: ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي: النشر في القراءات العشر، دار الفكر، بيروت، ٢١٢/١.

(٣) صحيح مسلم، باب فضل الماهر بالقرآن، برقم ١٨٩٨، ١٩٥/١.

ولما كانت الغاية من التَّجويد هو صون اللسان عن الخطأ في كتاب الله، وهي من أسمى وأشرف الغايات، وبها يعلو أعلى الدرجات؛ كان لا بُدَّ لقارئ القرآن ومحبّه أنْ يتخذ من الوسائل التي تبلغه إلى هذه الغاية السامية، فيتحقّق مراده، وتسمو نفسه، وتعلو درجته، وتربح تجارته، كما قال ربنا جلّ وعلا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ**﴾ [فاطر: ٢٩].

وفي هذا البحث بعون الله تعالى وتوفيقه نتناول هذه الوسائل التي تعين تالي القرآن على الوصول لغايته، عسى الله أنْ ينفع بها، ويكتب لنا بها الأجر مع الأخيار، الذين سهروا في خدمة كتاب الله العزيز، ونحن نجمع بعض جهدهم في هذا المقام مرتباً على المباحث التالية:

المبحث الأوّل: تعلُّم أحكام التَّجويد

المبحث الثاني: الاستماع

المبحث الثالث: التلاوة

المبحث الرابع: الحفظ والعرض

ثم الخاتمة، وبها أهم النتائج، ونسأله تعالى الإعانة والتوفيق والعصمة من كلّ زلل، وما توفيقي إلاَّ بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأوّل
تعلُّم أحكام التَّجويد

كان المسلمون الأولون ـ لسلامة فطرتهم ولسليقتهم ـ يتلون كتاب الله ويرتلونه كما سمعوه من النَّبيّ ﷺ، وكما تناقله بعضهم عن بعض من غير حاجة إلى قواعد وأحكام، وكما أنَّهم كانوا لا يخطئون في الكلام العربي ـ مع عدم وجود قواعد للنحو ـ فكذلك كانوا لا يخطئون في ترتيل القرآن الكريم؛ لأنَّه نزل بلغتهم، وجاء بلحونهم في الأداء ـ كما مرَّ في حديثه ﷺ السابق ـ.

وقد استمر المسلمون يقرأون القرآن كما كتب في المصاحف العثمانية، من غير نقط ولا شكل. ولكن حين توسَّعت الفتوحات، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، من عجم وغيرهم؛ طرأ اللحن على كتاب الله تعالى، لذلك احتاج الناس لوضع قواعد وضوابط وعلامات تعين على ضبط كلام الله تعالى، وصونه من الخطأ والتحريف، فوضع علم النحو ليعين على ضبط كلمات القرآن، كما اهتم علماء المسلمين من بعد بعلم التَّجويد اهتماماً بالغاً، فقام بعض علماء السلف ـ رضي الله عنهم ـ بخدمته ورعايته سواء بالتحقيق والتأليف أو القراءة والإقراء، لذلك ظلَّ القرآن الكريم محفوظاً في الصدور، مرتلاً مجوداً، تحقيقاً لوعد الله تعالى بحفظه، حيث قال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩].

ومن واجب أهل الإسلام أنْ يحرصوا على هذا العلم، حتَّى يكون عوناً لهم على ترتيل كتاب الله، ومن ثم تدبّره وفهم معانيه، ولا يتأتى ذلك إلاَّ

بالاهتمام بدراسة علم التَّجويد، ومعرفة أحكامه وتطبيقها. لذا قرَّر هذا المعنى الإمام ابن الجزري ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله:

إذ واجبٌ عليهم محتمٌ قبل الشروعِ أوّلاً أنْ يعلموا
مخارجَ الحروفِ والصفاتِ ليلفظوا بأفصحِ اللُّغاتِ[1]

وفي هذين البيتين تنبيه على أنْ يبدأ الذي يريد أنْ يتعلَّم أحكام التَّجويد بالأهم؛ لأنَّ التَّجويد هو عبارة عن: "معرفة المخارج والصفات"، لكن الذي نراه في كثير في المؤسسات التي تعنى بتعليم أحكام التَّجويد أنَّها لا تولي عناية للمخارج والصفات، والذي نريد أنْ نؤكِّد عليه هو أنَّ تعلُّم أحكام التَّجويد يبدأ بتعلُّم المخارج، وكيفيّة النطق بالحروف منفردة وحال التركيب، ثم معرفة صفاتها، وهذا هو النظام المتبع في الخلاوى، وهي أنَّها تفرد المرحلة الأولى من تعليم الطالب لمعرفة الحروف وتركيبها والنطق بها، مما يمكّنه من إتقان تجويد الحروف، لكن في المقابل لا تعتني الخلوة بإكمال تعليم بقية الأحكام العلميّة، والتي هي أكثر عوناً للطالب على نقل هذا القرآن لغيره؛ لأنَّ الخير يتحقَّق بتعلُّم القرآن ثم بتعليمه، كما نص على ذلك حديث المصطفى ﷺ: (خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه)[2].

وينبغي أنْ يُعْلَم أنَّ تعلُّم أحكام التَّجويد هو وسيلة وليس غاية في حد ذاته، فلا ينبغي أنْ يقتصر طالب القرآن على معرفة الأحكام وحفظها دون أنْ يكون لها أي أثر على قراءته وترتيله للقرآن الكريم، فكأنَّه بذلك توفَّرت له

(١) ابن الجزري: متن الجزرية، طبعة إدارة المعاهد الأزهرية، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣م، ص ٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، برقم ٥٠٢٧.

الوسيلة لكنه لم يستغلها للوصول بها للغاية المرجوة، وهي صون اللسان عن الخطأ في كتاب الله، وقراءة القرآن قراءة صحيحة كما أنزل، كما هو الشأن الآن في كثير من مؤسساتنا التعليميّة، ففيها يهتم الطالب أكثر بحفظ الأحكام دون تطبيقها عملاً، إلاَّ من رحم ربي، وقليل ما هم.

وفي هذا المقام لا بُدَّ أنْ نشير إلى أنَّ تعلُّم أحكام التَّجويد تلقيناً يصون اللِّسان عن الخطأ في كتاب الله، لكنه لا يغني في نقل هذا القرآن وتعليمه للناس إلاَّ تلقيناً، كما الشأن في كثير من خلاوينا، يجودون القرآن تلقيناً ولكنهم يواجهون صعوبة في تعليم وبيان أحكام التَّجويد لغيرهم، وأضرب المثل هنا بالمدارس القرآنيّة، التي ـ بحمد الله تعالى ـ قد انتشرت في أجزاء واسعة من بلدنا الحبيب، وغالباً ما يدرس طلاب الخلاوى في هذه المدارس، فنجد مثلاً إذا أراد أنْ يفرِّق المعلم للتلميذ بين صوتيْ "التّاء" و"الطّاء" لا بُدَّ أنْ يتعرَّض لصفة "الاستفال" في التّاء، و"الاستعلاء" في الطّاء، ولا بُدَّ أنْ يعرفهما تفصيلاً حتَّى يتمكَّن بالشرح والنطق أنْ ينقل هذه الخبرة للتلميذ.

وعليه لابُدَّ لقارئ القرآن أنْ يجمع بين العلم بأحكام التَّجويد ثم القدرة على تطبيقها، ومن ثم يمكِّنه ذلك من تعليم غيره، ويكون بذلك قد دخل في أهل الخير الذين عناهم النَّبيّ ﷺ بحديثه المتقدم، والناس متعبّدون لله تعالى بذلك، وهي عبارة صاحب الإتقان حيث قال: "ولا شكّ أنَّ الأُمَّة كما هم

متعبّدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، هم متعبّدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القُرَّاء المتصلة بالحضرة النَّبويّة"[1].

وهذه الصفة لا يمكن أنْ تؤخذ من المصحف ولا من الكتب، إنَّما تؤخذ بالتلقي عن العلماء المختصين في ذلك؛ لأنَّ هناك بعض الأحكام لا يمكن إتقانها إلاَّ بالتلقي والمشافهة، مثل: "الروم" و"الإشمام" و"التسهيل" وغير ذلك من الأحكام الدقيقة.

ومعرفة أحكام التَّجويد لها فضل كبير في مساعدة قارئ القرآن الكريم على عدم الإخلال بمباني الكلمات القرآنيّة ومعانيها.

المبحث الثاني
الاستماع

السمع نعمة عظيمة من نعم الله تعالى التي وهبها للعبد، وهو من أهم أدوات الهداية لدى الإنسان، فعن طريقه يصل الهدى إلى العقل والقلب، وبه يتعلَّم الإنسان البيان، لذا جاء في القرآن متقدماً في الذكر عندما يكون الحديث عن وسائل الهداية عند الإنسان، قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ**﴾ [الملك: ٢٣]، وقال أيضاً: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن: الإتقان في علوم القرآن، دار ابن كثير، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م، ٣١٤/١.

والمسلم مطالب بشكر الله تعالى على هذه النعمة بأنْ يستخدمها فيما خلقت له، فيسمع بها الحقّ والخير والهدى، وليس هناك أفضل ولا أحسن من السماع إلى كلام الله تعالى: أحسن الحديث، وأصدق الكلام.

والاستماع لتلاوة كلام الله تعالى من الوسائل المهمة في تعليم التَّجويد والترتيل، وذلك أنَّ القرآن إنَّما يؤخذ شفاهة من أفواه أهل الأداء، لذا دعانا الله تعالى بأنْ نستمع للقرآن حين يتلى؛ لأنَّ ذلك مِمَّا تحصل به الرحمة والبركة، فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وهذا الأمر عام ـ كما نص على ذلك الإمام الشوكاني ـ حيث قال: "أمرهم سبحانه بالاستماع للقرآن والإنصات له عند قراءته، لينتفعوا به ويتدبّروا ما فيه من الحكم والمصالح: قيل هذا الأمر خاص بوقت الصلاة عند قراءة الإمام، ولا يخفاك أنْ اللَّفظ أوسع من هذا، والعام لا يقصر على سببه، فيكون الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في كلّ حالة وعلى آيّة صفة مِمَّا يجب على السامع"[(١)].

وقد مدح الله تعالى الجنّ وهم يستمعون للقرآن منصتين، فقال: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ**﴾ [الأحقاف: ٢٩].

والاستماع إلى تلاوة القرآن هو من سُنَّة النَّبيّ ﷺ، ومن الأمور التي كان يحبها ويحرص عليها ﷺ، كما ثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي

(١) الشوكاني: فتح القدير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م، ٢٨٠/٢.

النَّبيّ ﷺ: (اقرأ عليَّ القرآن)، قلت: أأقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (إنّي أحبّ أنْ أسمعه من غيري)، فافتتحتُ سورة النساء، فلمَّا بلغت: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً**﴾ [النساء: ٤١]، قال: (حسبك)، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان)[١].

وكان النَّبيّ ﷺ يتعاهد أصحابه بالاستماع إليهم وتشجيعهم، فعن أُبيّ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: (لو رأيتني وأنا استمع لقراءتك البارحة! لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود)[٢].

وها هي السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النَّبيّ ﷺ تتعلَّم من رسول الله ﷺ حبّ الاستماع لتلاوة كلام الله تعالى، كما جاء في الحديث الذي يرويه عنها ابن ماجة، أنَّها قالت: أبطات على عهد رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت، فقال: (أين كنت؟) قلت: كنت استمع قراءة رجل من أصحابك، لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام وقمت معه حتَّى استمع له، ثم التفت إليّ فقال: (هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا)[٣].

وهذا الحديث يدلُّ على أنَّ السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت تستمع بكلّ حواسها، حتَّى أنَّها لم تشعر بالوقت، وكذا ينبغي لمستمع القرآن أنْ يقبل عليه بقلب خاشع يتفكّر في معانيه، ويتدبّر آياته، ويتعظ بما فيه من حكم

(١) أخرجه مسلم، برقم ٢٤٨، ٥٥١/١.

(٢) أخرجه مسلم، برقم ٢٣٦، ٥٤٦/١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، المكتبة العلميّة، بيروت، برقم ١٣٣٨، ٤٢٥/١.

ومواعظ، وأنْ يحسن الاستماع والإنصات لما يتلى من قرآن حتَّى يفرغ القارئ من قراءته.

وبحمد الله تعالى أصبحت وسائل الاستماع ميسورة، وذلك بفضل ما مَنّ الله تعالى به من الاختراعات الحديثة، من أجهزة الحاسوب وأسطوانات مدمجة، فأصبح ميسوراً على كلّ محب للقرآن أنْ يتحصّل على تسجيل القرآن وبصوت مَنْ يحب من القراء المجيدين.

ولذلك ينبغي شكراً لهذه النعم، وتفعيلاً لهذه الوسيلة المهمة في تعليم التَّجويد؛ أنْ يجعل المسلم من نفسه مستمعاً جيّداً للقرآن الكريم، كما يستحب أنْ يتابع المستمع الذي يريد أنْ يتعلَّم أحكام التَّجويد مع القارئ بفتح المصحف، حتَّى يتمكن من معرفة العلامات التي تعين على تطبيق الأحكام، ويقف على تعامل القارئ معها، ممَّا يكسبه هذه الخبرة.

ووسيلة الاستماع هي الوسيلة الغالبة في تعليم القرآن الكريم لطلاب جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة، إذا إنَّ طريقة التدريس في حلقات القرآن الكريم تتوقَّف على السماع أكثر؛ لأنَّ الحلقة غالباً ما يكون بها حوالي خمس وعشرين طالباً، فتكون فرصة الطالب في التلاوة واحدة، وإذا زاد العدد انعدمت هذه الفرصة أحياناً، لكن لدى الطالب فرصة واسعة في الاستماع لقراءة كلّ زملائه وشيخ الحلقة أيضاً، فإذا لم ينتبه الطالب لهذه المسألة المهمة، ويقبل على القرآن بقلبه، ويستمع إليه بكلّ خشوع؛ لا شكّ أنَّه يكون قد أضاع فرصة ثمينة كفيلة بأنْ تجعله من الماهرين بتلاوة القرآن؛ لأنَّ هذا الأمر يتكرَّر على مدى أربع سنوات، بالإضافة للختمات التي تكون نهاية كلّ فصل دراسي.

والأمر كذلك يشمل حلقات تدريس القرآن بالمساجد، فإنَّ التعليم فيها بالسماع أكثر، وكلّ مَنْ كانت نيّته أنْ يجود القرآن من خلال هذه الحلقات عليه أنْ يستمع ويتابع التلاوة من كلّ أفراد الحلقة، ولا ينتظر دوره فقط. هذا كفيل بأنْ يصحِّح أخطاءه، ويكسبه المهارة في تلاوة آيات القرآن، وهي الغاية المنشودة، فيكون قد توصَّل إليها بالاستماع الجيّد لتلاوة القرآن الكريم.

المبحث الثالث
التـــــــــلاوة

تلاوة القرآن الكريم من أعظم وأجلّ القربات إلى الله تعالى، ولشرفها جاء الأمر بها من الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ في قوله ﴿**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ**﴾ [النمل: ٩١-٩٢]، وقد جاء الأمر أيضاً في قوله تعالى ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾ [المزمل: ٤]. وقوله تعالى ﴿**فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**﴾ [المزمل: ٢٠].

وقد مدح الله تعالى عباده الذين يوفون التلاوة حقّها، فقال سبحانه ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ**﴾ [البقرة: ١٢١].

كما بيَّن الله تعالى أنَّ تلاوة القرآن تجارة رابحة، فقال ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ**﴾ [فاطر: ٢٩].

وعندما يكون الكلام عن الوسائل المعينة على التَّجويد نجد أنَّ التلاوة من أهم هذه الوسائل، كيف لا؟! وهي التطبيق العملي للتجويد، فلا بُدَّ لمتعلم القرآن أنْ يكثر من التلاوة حتَّى يتدرَّب ويتمكَّن من الأداء الصحيح لألفاظ القرآن الكريم.

وقد أرشدتْ السُّنَّة النَّبويّة الشريفة إلى أنَّ التلاوة تكون أجدى وأنفع عندما تكون على يد الشيخ المتقن، مع الصبر على مشقة تطبيق المخارج وتصحيح اللَّفظ، وذلك كما جاء في حديثه ﷺ الذي يقول فيه: (والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقّ له أجران)[1].

وجاء في حديث آخر: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلاَّ نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)[2].

ومن هذين الحديثين يتبيَّن لنا أنَّ التلاوة تكون وسيلة مفيدة للتعليم إذا راعى فيها طالب القرآن الآداب، بالإكثار منها على يد الشيخ المتقن الماهر، والصبر على التعتعة ـ وهي صعوبة النطق وإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة ـ. وقد ذكر الحديث المتقدم أنَّ له أجران، وقد قال العلماء في شرحهما أنَّهما: أجر القراءة، وأجر التعتعة.

(١) أخرجه الإمام أحمد، برقم ٢٤٧٢١. سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، دار إحياء التراث العربي، برقم ١٤٥٥، ٧١/٢.

وهذا ما نصَّ عليه الإمام ابن الجزري ـ رحمه الله تعالى ـ حيث يقول: "ولا أعلم سبباً لبلوغ نهاية الإتقان والتَّجويد، ووصول غاية التصحيح والتسديد، مثل: رياضة الألسن، والتكرار على اللَّفظ المتلقي من فم المحسن)[1].

ومن المؤكَّد أنَّ النَّبيّ ﷺ قد علَّم أصحابه القرآن الكريم كما تلقاه عن أمين الوحي جبريل عليه السلام، ولقّنهم إيّاه بالصفة نفسها، وحثَّهم على تعلُّمها والقراءة بها، فلقد ثبت أنَّ النَّبيّ ﷺ سمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقرأ في صلاته فقال: (مَنْ سرَّه أنْ يقرأ القرآن غضّاً كما أُنزل؛ فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)[2].

ولعلَّ المقصود ـ والله أعلم ـ أنْ يقرأه على الصفة التي قرأ بها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من: حسن الصوت، وجودة الترتيل، ودقة الأداء[3].

وقال النَّبيّ ﷺ آمراً بتعلُّم قراءة القرآن، وبتحري الإتقان فيها، بتلقيها عن المتقنين الماهرين: (خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأُبيّ بن كعب)[4].

وكلّ هذا يدلُّ على أنَّ هناك صفة معيّنة وكيفيّة ثابتة لقراءة القرآن لا بُدَّ من تحقيقها، ولا يكون ذلك إلاَّ بكثرة التلاوة والتمرين على ذلك، هذا بالنسبة للطالب. وهناك من العلماء مَنْ وجَّه الكلام للمعلم للاستفادة من هذه الوسيلة في تعليم التَّجويد، والتدرُّج بالطالب حتَّى يبلغ غايته، فقال: "وعلى

(١) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ٢١٣/١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، وقد سبق تخريجه.

(٣) عطية قابل نصر: غاية المريد في علم التَّجويد، دار التقوى، مصر، ص ١٥.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، برقم ٤٩٩٩، ٤٦/٩.

مدرّسي هذا العلم أنْ يلحظوا أثناء تدريسهم أنَّه لا بُدَّ من الإكثار من التطبيق، وممارسة النطق الصحيح من الطلاب.

وهناك ثلاث مراحل ينبغي أنْ يتدرَّج فيها المبتدئ في هذا الفنّ:

الأولى: تصحيح نطقه، بتحقيق مخارج الحروف وصفاتها اللازمة، حتَّى لا يخلط الحروف ببعضها، وحتَّى يتعوَّد التمييز بينها، والنطق بها نطقاً صحيحاً، بإخراج كلّ حرف من مخرجه المحقق، وبالمحافظة على حركات الإعراب، والتنبيه للوقوف اللازمة أو الممنوعة التي تتعلَّق بالإخلال بالمعنى، ويعتني أيضاً بالإحكام الواجبة، كالمدود اللازمة والطبيعيّة، ومواضع الإظهار، ونحو ذلك.

والثانية: يرتقي فيها المعلم مع التلميذ إلى العناية بأحكام الحروف وصفاتها التكميلية، أي التي لا تتوقف صحة النطق عليها، ولكنها من مقتضيات الفصاحة والكمال، كـ "الترقيق"، و"التفخيم"، و"الغُنّة"، و"الإدغام"، و"الإخفاء"، و"الإقلاب"، و"المدود الجائزة". ومن الصفات، مثل: "القلقلة"، و"اللِّين"، و"الانحراف"، و"الإصمات"، و"الإذلاق". ومن الوقوف على المواضع الواضحة التي يظهر فيها تعلُّق المعنى أو عدم تعلّقه، وحسنه أو قبحه، ويبدأ في هذه المرحلة في تصحيح الأخطاء الخفية.

والثالثة: وهي المرحلة الأخيرة وتُعَدُّ مرحلة المتقنين، فالتلميذ فيها يكون مجوّداً، محقّقاً لأحكام الحروف ومخارجها وصفاتها، ويكون نطقه سليماً من الأخطاء الجليّة، ومعظم الأخطاء الخفية، إلاَّ أنَّه بعد لم يكتمل إتقانه، ولم يبلغ درجة كافية من المهارة في النطق، وحتَّى لو بلغ درجة المتقنين، فإنَّ المتقنين على

مراتب متفاوتة، والإتقان درجات بعضها فوق بعض، وقمة الإتقان ومنتهاه نطق رسول ﷺ.

في هذه المرحلة الأخيرة يهتم المعلم بالنواقص الخفية التي تخل بالإتقان لا بالنطق، كالتدقيق في مقادير الممدود ودرجاتها، ومراعاة المعاني الدقيقة في الوقوف، وبلوغ الغاية من المهارة في تحقيق الصفات.

وينبغي أنْ يوفِّر المعلم أثناء درس التَّجويد والقراءة فرصتين لطلابه:

إحداهما: السماع للنطق الصحيح، فيقرأ لهم وهم يتابعونه في المصحف أو على السبورة.

وأخراهما: النطق الصحيح، فيقرأون وهو يستمع ويتابع ويصحِّح الأخطاء.

وليعلم كلّ طالب علم معني بهذا الفنّ العظيم أنَّه من الفنون والعلوم العمليّة التي لا يمكن أخذها من الكتب وحدها؛ بل لا بُدَّ من الممارسة والتطبيق، والإكثار من التمرين، حتَّى يستقيم لسانه، ويعتاد النطق السليم.

قال ابن الجزري:

ولـيس بينـه و بـين تركـه إلاَّ رياضـة أمـريء بفكـه[1]

وهذا يدلُّ على أهمية هذه الوسيلة الفعّالة ـ وهي التلاوة ـ في المساعدة على تعلُّم هذا الفنّ، والوصول فيه إلى الغاية المبتغاة، لأنَّ هذا العلم من العلوم التي ترجع إلى السماع والنَّقل، ولا مجال فيه للقياس، فلا بُدَّ من سماع القرآن

(١) ابن الجزري: متن الجزرية، مرجع سابق، ص ١٤.

من مجوّد متقن، وعرضه عليه[1].

المبحث الرابع
الحفظ والعرض

أنزل الله تعالى القرآن الكريم وتكفَّل عزَّ وجلَّ بحفظه، حيث قال سبحانه ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩]. وقال مخاطباً نبيّه ﷺ: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ [القيامة: ١٦ـ١٧].

"ولما تكفَّل تعالى بحفظه؛ خصَّ به مَنْ شاء من بريّته، وأورثه مَنْ اصطفاه من خليقته، قال تعالى ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾ [فاطر: ٣٢]. وقال ﷺ: (إنَّ لله أهلين من النَّاس) قيل: مَنْ هم يا رسول الله ؟ قال: (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)[2].

ثم إنَّ الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة منّ الله تعالى بها على هذه الأُمَّة[3].

لذلك نجد أنَّ النَّبيّ ﷺ بعد أنْ تلقى القرآن من ربّه عزَّ وجلَّ اجتهد غاية الاجتهاد في أنْ ينقله لأصحابه، ويحثّهم ويرغّبهم ويشجّعهم على حفظه، فكان

(١) عبد العزيز عبد الفتاح القارئ: قواعد التَّجويد علي رواية حفص، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ ص ٨٠٦ "بتصرُّف".

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، برقم ١٢٢٨٧، ١٥٦/٣.

(٣) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ٥/١.

أنْ حفظه في حياته الجمع الغفير من الصحابة والصحابيّات ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، وهم بدورهم نقلوه للتابعين ـ رضي الله عنهم ـ بالطريقة نفسها التي تلقوها من النَّبيّ ﷺ، ثم صار الأمر سُنَّة فيمن بعدهم إلى يومنا هذا، ينقله حافظ عن حافظ، وضابط عن ضابط، لذا كان "الحفظ" و"العرض" من أهم الوسائل التي تعلّم النَّاس بها القرآن الكريم، وبها نقلوه لنا كما أُنزل، فكان لا بُدَّ لمن أراد أنْ يتعلَّم القرآن وتجويده أنْ يتخذ هذه الوسيلة الفعَّالة؛ لأنَّ حفظ القرآن عن الشيخ المتقن هو حفظ كذلك للتجويد وكيفية الأداء، ولا يكون ذلك إلاَّ بعد السماع من الشيخ ثم العرض عليه.

ولكي يستفيد طالب القرآن من هذه الوسيلة في تعليم التَّجويد لا بُدَّ له أنْ يتعرَّف على الشروط التي تجعل هذه الوسيلة فعَّالة وموصلة إلى الغاية المرجوة، فلا بُدَّ من الآتي:

أوّلاً: التلقي من الشيخ المتقن:

وذلك بالجلوس إليه، والسماع منه، ومتابعته بكلّ اهتمام، ثم يقرأ الطالب بعد ذلك على الشيخ حتَّى يصحِّح الأخطاء، وبعد أنْ يطمئن على سلامة القراءة بعد ذلك يشرع في الحفظ.

وبعد إكمال الحفظ وإتقانه بتكراره عدّة مرات ـ حتَّى يثبت ثبوتاً راسخاً ـ لا ينتقل الطالب إلى غيره إلاَّ بعد أنْ يعرضه على شيخه، وهو ما يُعْرَف عندنا بـ "التسميع" و"العرض"، وهي سُنَّة نبيّنا ﷺ، فقد كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كلّ عام مرّة في رمضان، وفي السنة التي قُبض فيها عرضه مرتين.

وممَّا يدلُّ على أهمية هذه الوسيلة الفعَّالة في تعليم تجويد القرآن الكريم، حيث بها يجوِّد الطالبُ القرآنَ جزءاً جزءاً، وشيئاً فشيئاً، حتَّى يكتمل لديه تجويد كلّ القرآن الكريم، وأيضاً لكي يستفيد الطالب من هذه الوسيلة؛ لا بُدَّ من توحيد المصحف الذي يحفظ منه، ممَّا يسهّل على الذاكرة تسجيل الصفحات وأرقامها، وبداياتها ونهاياتها، ومواضع الأرباع والأثمان، والوقفات والسكتات، لأنَّ الحفظ تشترك فيه الصورة والخط، فإذا وحَّد الطالبُ المصحفَ الذي يحفظ منه سهَّل له ذلك الإتقان وسهولة الحفظ والمراجعة. كذلك على الطالب أنْ يختار من الأوقات المحببة لديه في الحفظ، وذلك حتَّى يكون الحفظ راسخًا، لأنَّ القرآن من خصائصه التَّفلُّت، كما جاء في حديثة ﷺ: (تعاهدوا القرآن، فو الذي نفسي بيده لهو أشدّ تفصياً من الإبل في عقلها)[1].

وقد عقد الإمام النَّوويّ ـ رحمه الله تعالى ـ فصلاً في كتابه: "الأذكار" لبيان الأوقات التي تختار للقراءة، فقال: "اعلم أنَّ أفضل القراءة ما كان في الصلاة، ومذهب الشافعي وآخرين ـ رحمهم الله تعالى ـ أنَّ تطويل القيام في الصلاة بالقراءة أفضل من تطويل السجود وغيره، وأمَّا القراءة في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير منه أفضل من الأوَّل، والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة، وإمَّا قراءة النَّهار فأفضلها ما بعد صلاة الصبح، ولا كراهة في القراءة في وقت من الأوقات، ولا في أوقات النهي عن الصلاة)[2].

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، برقم ٤٧٤٦، ١٩٢١/٤.

(٢) الإمام النووي، الحافظ أبي زكريا يحيي بن شرف: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، المكتبة الثقافيّة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٩٦.

ثانياً: العـــــرض:

وهو ما يعرف عندنا بـ "التسميع"، وهو خطوة مهمة ينبغي أنْ يحرص عليها طالب القرآن وحافظه؛ لأنَّها تمثِّل الخلاصة لكلّ الخطوات المتقدّمة، وبها يعرف الطالبُ الدرجةَ التي وصل إليها في الحفظ وصحة القراءة، وعن طريقها يتمكَّن من التصحيح الأخير لما قد طرأ عليه من الخطأ أثناء حفظه.

والعرضة خطوة مهمة جداً عندنا في خلاوى القرآن، فبها يُعْرَف الطالب المجد والمجتهد، وبها يُسْتَدَلّ على مَنْ سيحفظ، ويُسْتَدَلّ بها كذلك على أهل الترتيل والإتقان والتلاوة الحقّة للقرآن الكريم.

ويمكن أنْ يبدأ الطالب بالعرض أوّلاً على أقرانه حتَّى يتعوَّد، ولكن لا يكتفي بذلك، لأنَّ القرين يكون بالدرجة نفسها، فقد لا يفطن لبعض الأخطاء الدقيقة التي يفطن إليها الشيخ الماهر، والغرض من العرضة هي الاطمئنان والتأكُّد من صحة الحفظ، وسلامة القراءة، والتعوُّد على الترتيل، وتحسين الصوت بالتلاوة، لأنَّ مقام العرضة يحقِّق كلّ ذلك.

وممَّا تجدر الإشارة والتنبيه إليه في هذا المقام أنَّ غالب طلابنا في الجامعة لا يهتمون بتصحيح ما يحفظون، وغالباً ما يعتمدون على الحفظ الشخصي من غير قراءة على شيخ، فينشأ عن ذلك الأخطاء في الأداء، والضعف في الحفظ، وكذلك إهمال العرض بالكلية أو الاكتفاء بالعرض على الأقران، ممَّا يساعد في تثبيت الأخطاء، وظهور الأخطاء المشتركة في أداء الدفعة الواحدة. والطالب مقرَّر عليه في سنوات الدِّراسة أكثر من ثلث القرآن، فلو اهتم واجتهد واستعان بالوسائل التي ذكرناها، وقرأ وعرض على شيوخه، لا شكَّ أنَّ ذلك

يؤهله في أنْ يتخرَّج وهو متقن للقرآن الكريم، ويستطيع أنْ يسهم في تعليم غيره، ويدخل في الخيريّة والأفضليّة التي ذكرها رسولنا ﷺ، وكلّ ذلك جهد ذاتيّ، فلا بُدَّ أنْ يكون للطالب الرغبة في التَّجويد والإتقان، وأنْ يسعى لذلك، لأنَّ نظام الجامعة ليس كنظام الخلوة يقوم على المتابعة والتصحيح، فطالب الجامعة يسعى لتعليم نفسه ولا ينتظر متابعة من أحد. كذلك فإنَّ الزمن المتاح لا يمكِّن من متابعة وتصحيح الكلّ، إلاَّ أنْ يجتهد الطالب بنفسه، ويسعى لشيوخه حتَّى في غير الأوقات المحدّدة ليقرأ ويعرض عليهم.

الخاتمة:

تجويد القرآن الكريم من الغايات السامية التي يجب أنْ يسعى إليها كلّ مسلم، والعيش تحت ظلال دوحة القرآن الوارفة راحة لكلّ مؤمن.

وتكتمل متعة المرء بهذا الكتاب العزيز إذا وُفِّق إلى تجويد قراءته وترتيله، وحسن الصوت بتلاوته، وهذا يقود للتأثير والتأثُّر والتدبُّر لآيات الله تعالى.

ولكي يصل المرء إلى جودة الترتيل وإتقان التلاوة؛ لا بُدَّ له من اتخاذ كلّ الوسائل الكفيلة بتوصيله لهذه الغاية النبيلة.

وقد عرفنا من خلال هذا البحث أنَّ تعلُّم أحكام التَّجويد، ثم الاستماع إلى تلاوة القرآن بالخشوع والإنصات والمتابعة، ثم رياضة اللِّسان بإكثار التلاوة والتدريب المستمر على تحقيق وتصحيح ألفاظ القرآن، ثم يأتي دور الحفظ والعرض في التعبير عن ثمرة كلّ الجهود السابقة، وقياس مدى الاستفادة من الوسائل المتقدمة. كلّ ذلك يؤدي للتجويد والإتقان، وذلك جهد يشترك فيه

الطالب والشيخ وكلّ المؤسسات التي تُعْنَى بتعليم التَّجويد، حتَّى يتصل فينا فيض ونور القران الكريم.

وأخيراً أسأل الله تعالى أنْ يبارك في كلّ الجهود المخلصة في خدمة القرآن الكريم، ويوفِّق كلّ طالب شمَّر عن ساعد الجد في تجويد القرآن الكريم، ويوفّقنا للاحسان في القول والعمل.

كما نسأله تعالى أنْ يجعلنا من أهل القرآن، وأنْ يرزقنا حسن تلاوته، والعلم والعمل به، وأنْ يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

.. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ..